مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٧/٢/٦

رؤية من الخارج

أسئلة من هولندا عن الأحداث فى مصر

لعلها المرة الاولى التى يتحول فيها اصحاب مدعو لزيارة عدد من الدول الاجنبية من سائل يبحث عن سر نقدم تلك الدول ونهضتها الى مسئول حائر فى الرد على الاسئلة التى انهالت عليه تطلب تفسيرا لما جرى ، وتبريرا مقنعا لما حدث .

كنت اجلس مع السيد أمين سامى سفير مصر فى هولندا والدكتور فتح الله الخطيب الوزير الاتحادى فى احد فنادق المدينة الهولندية لاهاى عندما سمعنا اول نبأ عن « مظاهرات صاخبة تحرق شوارع القاهرة والاسكندرية واسوان ، وتصطدم برجال الامن . مئات القتلى والجرحى . الجيش ينزل الى الشوارع . فرض نظام منع التجول واوامر باطلاق النار على كل مخالف » .

كيف يحدث هذا ؟ ! كيف يمكن ان يحدث ؟ !

لم نجد جوابا واحدا مقنعا يكفى مبررا لان تحرق شوارع القاهرة والاسكندرية واسوان لمجرد ان الحكومة رفعت اسعار بعض السلع او رفعت الدعم عن انواع اخرى من السلع . ولابد ان يكون هناك سبب أو اسباب اخرى لهذا الذى يحدث .

بعدها بساعات كنت على موعد مع عدد من المسئولين فى الحكومة الهولندية وبينهم وزير الخارجية نفسه . وبعدها بيومين كان موعدى فى المانيا الاتحادية .

وتولتنى حيرة شديدة . ماذا سأقول لهؤلاء وهؤلاء ؟ انهم لن يتيحوا لى فرصة السؤال وانما سينهالون على بالاسئلة فما الذى يمكن ان ارد به ؟ ان الصورة ليست واضحة على الاطلاق .. بل ان ما تنقله الاذاعات عنها قاتم .. بشع ..

وفكرت للحظات فى ان اعتذر عن مواعيدى مع المسئولين الهولنديين .. لكنى عدت فعدلت . فالاعتذار هروب .. وقد يحمل معنى الاعتراف بأن مصر القانون انتهت ..

وبدأت الاسئلة ..

قال احدهم : كيف تحرقون شوارعكم وبيوتكم وانتم تشكون من ضائقة مالية تبحثون فيها عن اى منفذ يساعدكم على الخروج منها ؟ ! كيف تحطمون سياراتكم واوتوبيساتكم وانتم تئنون من أزمة مواصلات بلغت بالفعل حدا مؤلما ؟ هل يمكن ان تكون زيادة الاسعار التى اعلنتها الحكومة ثم عادت فسحبتها بطلب من الرئيس السادات سببا كافيا لان تحرقوا ما حرقتم وتدمروا ما دمرتم وكله ملك لكم محسوب عليكم؟

وقال آخر : هل سمعت أن مظاهرة

او مظاهرات قامت فى اسرائيل تحرق ما انشات او تدمر ما بنت ؟ المظاهرات فى اسرائيل لا تنقطع.. والاضرابات تكاد تكون متصلة .. فالضائقة المالية فيها اشد من ضائقتكم .. والعجز فى ميزانيتها اكبر من العجز فى ميزانيتكم
لكنهم مع ذلك لم ولن يفعلوا ما فعلتم . فكرف ؟

ثم قال آخر : ما الذى يطالب به المتظاهرون ؟ اى شىء يريدون ؟ هل يمكن ان يوجد فى مصر من ينادى بتغيير نظام الحكم ؟ هل يختلف اثنان على ان نظام السادات قد هيأ لكم كل ما بدأتم تتمتعون به من حرية فى كل جانب من جوانب حياتكم السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد سنوات الكبت الطويلة الماضية ؟ اننا نعرف ان الشيوعية مرفوضة فى مصر : مرفوضة بحكم دينكم .. وبحكم طبيعتكم الاجتماعية .. وبحكم تاريخكم العريق .. اذن فاى تغيير يمكن ان يفكر به من قاموا بالحرق والنهب والتدمير ؟

بعده قال رابع : هناك شىء لا اظنه حقيقة وهو : انتم تعانون من شح فى الموارد الاقتصادية ، ومن ارتفاع فى الاسعار ، ومن ضائقة مالية نعترف انها شديدة ونعترف بانها نتيجة حتمية لانفاقكم العسكرى الضخم فى مواجهة اسرائيل .. والمفروض انكم — أو ان من قاموا بهذه المظاهرات — انما ارادوا ان يعبروا بها عن رغبة فى التغيير الى الاحسن ، وفى الخروج من الضائقة الى الفرج .. فهل يمكن ان يكون التغيير المطلوب تغيير رجل يؤمن بان السلام هو السبيل الوحيد الى رفع المعاناة القاسية عن شعبه ؟ هل يمكن ان يكون التغيير المطلوب هو تغيير الرجل الذى كسب احترام وثقة العالم الغربى كله وفتح باب بلاده — مجرد فتح الباب حتى الان — امام مال هذا العالم وعلمه

... واسئلة اخرى كثيرة لم يخرج اى منها عن هذا المعنى . احسست خلالها وبعدها براحة نفسية شديدة .
لقد كان كل سؤال منها يحمل معه الجواب عليه فاكتفى بان اقول : ها انتم تردون على اسئلتكم بانفسكم . انى لا اعرف حتى الان حقيقة ما جرى او تفصيل ما حدث .. لكنى واثق من ان شعب مصر — واى شعب آخر — لا يمكن ان يقبل بالعبودية بديلا للحرية .. ولا بالذل بديلا للكبرياء .. ولا بالفقر بديلا للغنى . ولقد جاء السادات الى الحكم ممثلا للحرية فى كل القوانين التى اصدرها .. ممثلا للكبرياء فى قرار الحرب المجيدة الذى اتخذه ونفذه فى ٦ اكتوبر فى عام ١٩٧٣ .. ممثلا للامل بجهود السلام المضنية التى يبذلها من اجل مستقبل افضل لشعبه المصرى وامته العربية كلها .

ووجدتنى وسط هذا الطوفان من الاسئلة اوجه للمتسائلين سؤالا واحدا . قلت : لماذا تضخمون كل ما يحدث فى مصر ؟ اذا قامت مظاهرة قلتم : النظام اهتز! اذا انفجرت قنبلة قلتم : النظام هو المقصود ! لماذا لا تقولون ذلك عن مئات المظاهرات التى تشهدها بلاد العالم كلها يوما بعد يوم ؟ لماذا لا يهتز النظام البريطانى بسبب عشرات القنابل والحرائق اليومية ؟ وغيرها .. وغيرها ...!

يوسف صباغ